المقدمة: الخيط الناظم للعدد وتقسيم عوالمه

مع أحداث الحادي عشر من سبتمبر دخل النظام العالمي مرحلة تحول تشهد عمليات إعادة تشكيل موازين القوى العالمية والإقليمية، على نحو يجعل من هذه الأحداث وتداعياتها بداية قرن آتٍ. ولقد قفزت الأمة العربية والإسلامية إلى قلب هذا السياق المتحول بكل تحدياته. فلقد استدعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما تلاها حتى الآن الأمة كلها –دولاً وشعوبًا- في قلب التفاعلات العالمية؛ ولتكشف وبصورة سافرة، ولتجسد ما أضحت عليه خطورة التحديات التي تواجه الأمة وخاصة في أبعادها الثقافية الحضارية.

وكان الهجوم على الولايات المتحدة يعد أخطر حدث منذ نهاية الحرب الباردة. فلقد أصاب في الصميم كل ما تمثله الولايات المتحدة منذ نهاية هذه الحرب, وهو نمط جديد من أعمال العنف المسلح ذو دلالة حضارية. فلقد وقع على أهم رمزين من رموز القوة الأمريكية العالمية, أي القوة المالية والقوة العسكرية, بل هما أهم رموز الحضارة الغربية وقيمها المادية عن الرفاهية والأمن. ولهذا فلقد تم توصيف هذه الهجمات بأنها غير مسبوقة وغير متوقعة وأنها كارثة قومية أمريكية, ومن ناحية أخرى فلقد جاءت الهجمات من فواعل دولية هي ما يسمى قوى الإرهاب الدولي, والذي تصفه الولايات المتحدة بأنه عدو جديد غير محدد الهوية.

ولقد أضحى وضع الأمة الإسلامية في النظام الدولي مع بداية القرن الواحد والعشرين رهين عواقب السياسات الأمريكية والغربية التي أعقبت الهجمات على واشنطن ونيويورك من ناحية, كما أضحى هذا الوضع من ناحية أخرى ساحة تتجدد حولها وعليها اختبارات مقولات صراع الحضارات ومقولات التهديد الإسلامي للغرب في مقابل مقولات الحرب الصليبية والمؤامرة على الإسلام والمسلمين.

وتبرز من قلب جميع هذه السياسات وجميع هذه الرؤى والمدركات المتبادلة الأبعاد الثقافية الحضارية للعلاقات بين عالم الغرب وعالم المسلمين جلية واضحة, والتي سبق وظهرت أيضًا مع حرب الخليج الثانية والحرب في البوسنة وكوسوفا والشيشان وكشمير... من ثم فقد استحضرت أولى حروب القرن التي دشنها الهجوم على واشنطن ونيويورك ثم غزو أفغانستان على الساحة الدولية مفهوم "الصراع الحضاري" بعد أن دشنت الحرب الباردة من قبل "الصراع الأيديولوجي" وبعد أن دشنت الحربان العالميتان الأولى والثانية "صراع القوى" خلال القرن العشرين.

بعبارة أخرى تصبح "أولى حروب القرن الجديد" بمثابة مفترق طرق خطر بالنسبة لوضع الأمة الإسلامية في النظام الدولي، فلقد أضحت محك اختبار قوى وتحديًا شديد الخطورة للعلاقة بين أمريكا والإسلام في داخلها وخارجها، فمهما حرصت أمريكا على الإعلان أن "الإرهاب الدولي" -وليس الإسلام والمسلمون- هو عدوها ومهما كان الفاعل الحقيقي للهجمات على نيويورك وواشنطن، فستظل هذه اللحظة التاريخية الراهنة مفترق طر ق خطيرًا تعبر معه الأمة بوابة القرن الواحد والعشرين. وقد كشفت التحديات الحضارية الثقافية عن وجهها الحقيقي. وهي التحديات التي تبرز لنا سواء على صعيد أسباب أو مبررات الهجوم على الولايات المتحدة، أو على مستوى الإعداد للتحالف الدولي ضد الإرهاب، أو من خلال العمليات العسكرية في أفغانستان والمعارك الدبلوماسية والسياسية الأمنية التي أحاطت بها-وكذلك بالعراق بعد ذلك- والتي امتدت إلى مختلف أرجاء العالم الإسلامي.

فلقد أضحت الأبعاد الحضارية الثقافية لهذه التحديات (أي الأبعاد المتصلة بآثار اختلاف الثقافة والحضارة على اختلاف الرؤى والقيم وقواعد السلوك والأخلاق، وعلى اختلاف الرؤية للعالم ومعايير التقويم ودوافع السلوك وأسس الهوية) ذات تأثير على المستويات التالية: أسسًا جديدة لتقسيم العالم، محركًا للتفاعلات الدولية ومحددًا لنمطها ولحالة النظام الدولي، أداة من أدوات السياسة وموضوعًا من موضوعاتها، محددًا لخطاب النخب والقاعدة، وأخيرًا عنصرًا تفسيريًا أو تبريرًا للتحالفات, ومكونًا للقوة.

والجدير بالذكر أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر لم تنشئ هذا الوضع إنشاء، ولكن كشفت عنه الغطاء؛ حيث تراكمت مؤشراته بالتدريج خلال العقد الأخير من القرن العشرين.

إن الباحث أو المراقب أو السياسي المهتم بوضعية هذه الأمة في النظام الدولي، ما كان بإمكانه أن يغفل الوزن المتزايد للأبعاد الحضارية-الثقافية بين التحديات الخارجية التي أضحت تواجهها الأمة في نهاية القرن العشرين، وإذا كان لهذه الأبعاد دائمًا تأثيرها في المراحل السابقة من تطور العلاقات بين الأمة الإسلامية والغرب إلا إنها اكتسبت تدريجيًا زخمًا غير مسبوق خلال العقد الماضي.

ومن خلال التعمق في مفردات الفكر الاستراتيجي الغربي عن وضعية الإسلام والمسلمين في النظام الدولي من ناحية، وبالنظر إلى أهداف وقضايا وأدوات السياسات الغربية تجاه عالم الإسلام والمسلمين خلال العقد الأخير من ناحية أخرى، يمكن أن نكتشف ما أضحى عليه موضع التحديات الخارجية ذات الأبعاد الثقافية من التحديات الأخرى سواء على مستوى الفكر أو الممارسة السياسية. فلقد أضحت ساحة الثقافة آخر ساحات الهجوم علينا، وأضحت الأداة الثقافية في تناغم شديد واندماج واضح مع الأدوات الاقتصادية والسياسية، وذلك في غمار عمليات العولمة.

ولذا، لم يكن غريبًا أن نلحظ خلال العقد الماضي أن ساحة الخطاب الغربي الأكاديمي والسياسي في مجال العلاقات الدولية قد أضحت زاخرة بما يتصل بالثقافة والحضارة والدين. وهو الخطاب الذي قدم الإجابة عن سؤالين استراتيجيين: ما هو مستقبل الغرب وهيمنته على العالم بعد أن انتصر نموذجه السياسي والاقتصادي "بدون حرب"؟ وما هي مصادر التهديدات الجديدة له بعد انتهاء التهديد الشيوعي؟

وفي قلب الإجابات المتنوعة عن هذين السؤالين كان يقفز دائماً وضع الإسلام والمسلمين ومستقبل العلاقة بين النموذج الحضاري الغربي ومثيله الحضاري الإسلامي (بالرغم من كل ما يتسم به المنتمون إلى هذا النموذج الأخير من ضعف مادي لا يقارن بقوة الغرب المادية). وهذا الوضع لم يعكس إلا القناعة الغربية بأن حسم المواجهة لن يتم حول آليات السياسة والاقتصاد فقط، ولكن يجب حسمها أيضًا عبر ساحة النموذج الثقافي القيمي, وفي قلبه الدين.

ومن ناحية أخرى فإذا كان العقد الأخير من القرن العشرين لعالم المسلمين هو قرن التغريب وقرن تحول الأمة من حالة الشهادة إلى حالة المشهودية، إلا أنه شهد تداخلاً بين علامات الوهن والعزة، وهن متراكم وخمائر عزة نادرة. ولقد توالت خلال الربع الأخير من القرن العشرين إرهاصات الإمكانات والممانعة؛ مشيرة إلى ختام قرن وبداية آخر. وحتى جاء حدث الحادي عشر من سبتمبر باعتباره حدثًا مفصليًا ليحدد مبدأ ألفية جديدة.

وهذا الحدث كان علامة تشير إلى ضعف داخلي في الدولة العظمى "الولايات المتحدة"، والذي تراكمت قبله علامات ضعف أخرى داخلية وخارجية مما أشارت إليه فعاليات انتخابات الرئاسة الأخيرة وقبلها تفجير أوكلاهوما الذي أشار بأصابع اتهام إلى جماعات أمريكية يمينية صاعدة وما تزامن مع ذلك من مواجهات العولمة والنظام العالمي الجديد وما برز من ممانعات ضد التوجهات الأمريكية على ما أسفر عنه مؤتمر دربان حول العنصرية... وغير ذلك- هذا الحدث، وإن كان قد وقع في

مكان بعيد عن عالم المسلمين، لكنه شكل بداية افتتاح قرن آت، كما أنه من حيث تأثيراته وتوابعه ومآلاته جعل عالم المسلمين في البؤرة ليشكل موجة جديدة من التداعي على الأمة. ومن ثم فإن هذا الحدث وتداعياته كان في حاجة إلى توقف وتفحص وتأمل، وإلى التعرف على مجاله ومآله وما قد يتركه من آثار على رؤية العالم.

وعلى ضوء ما سبق كان من الطبيعي أن يصبح **الخيط الناظم لهذا العدد من الحولية** هو وضعية الأمة الإسلامية والمستجدات الطارئة عليها إثر أحداث اليوم الأمريكي وتداعياته في إطار العلاقات الحضارية بين الأمة وسائر الأمم سيما الغربية (صدام أم حوار أم تعارف).

وعلى هذا النحو، فإن هذا العدد من الحولية يعد امتدادًا طبيعيًا واستكمالاً للعدد الخاص السابق عليه "الأمة في قرن" والذي استغرق إعداده الفترة (2000-2001) وتم صدور أجزائه الستة خلال النصف الثاني من العام 2002. فلقد كانت إحدى الإشكاليات الأساسية التي واجهت تصميم وتنفيذ هذا العدد الخاص هو إشكالية تحديد نهاية قرن وبداية آخر. ومع دخول هذا العدد الخاص بأجزائه الستة مرحلة التحرير والإخراج الفني للطباعة وقعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، مدشنة بذلك –كما سبق التوضيح- بداية قرن جديد ومستدعية الأمة الإسلامية في قلب تفاعلات هذه البداية.

ولقد جاءت تداعيات الحدث –خلال الأشهر الثلاثة الأولى التي أعقبت وقوعه- ذات دلالات واضحة بالنسبة لمسار ونتائج بعض دراسات آخر أجزاء **"الأمة في قرن"**؛ أي الكتاب **السادس**، تحت عنوان **"تداعي التحديات والاستجابات والانتفاض نحو المستقبل"**. ولذا، وحيث إن ما لا يدرك كله لا يترك كله، فقد قدم د.سيف الدين عبد الفتاح في خاتمة هذا الجزء، وكذلك قدمت د.نادية مصطفى في خاتمة إحدى دراسات هذا الجزء، رؤى أولية عن طبيعة الحدث وعن تداعياته المستقبلية على وضع الأمة الإسلامية في النظام العالمي. ولقد مثلت هاتان الرؤيتان –بما تطرحانه من أسئلة وما تتصورانه من مسارات، وبالتفاعل مع رؤية المستشار طارق البشري التي سجلها في افتتاحية عددنا هذا- أساس تصميم خطة هذا العدد وتقسيم عوالمه. ولعل من أهم المنطلقات التي حكمت تفكير الفريق وأثارت النقاش خلال جلسات العمل الجماعية ما يلي: كيف يجب ألا نجعل تاريخ الحادي عشر من سبتمبر إسارًا لإدراكنا بأننا المتهمون، وأن الولايات المتحدة في موقف رد الفعل والدفاع؟ وكيف نحرر مدركاتنا ومصطلحاتنا ومفاهيمنا، فنستدعي: التحرير، المقاومة، الاستعمار، العدوان في مقابل السائد الآن: الإرهاب، الآخر، السلام، الأقليات؟ وكيف يجب عدم فصل الاهتمام بالبعد الحضاري الثقافي عن الأبعاد السياسية وتوازن القوى بحيث لا نغرق في مقولات دوافع الصراع الحضارية ناسين دوافع توازنات القوى ومصالحها أو العكس صحيح؟ وكيف نجمع بين أزمة العالم وأزمة الأمة تأكيدًا على ما أضحى عليه وضع الأمة في العالم الآن؟ وأخيرًا ضرورة الوعي بأن ما بعد الحادي عشر من سبتمبر ليس نقطة فاصلة جديدة في السياسة الأمريكية بعد الحرب الباردة. وهو الأمر الذي يجعل من الضروري أن يظل السؤال التالي مطروحًا: من المسئول عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر؟ ومن الذي خطط لها؟ ومن الذي نفذها؟ وتلقي افتتاحية المستشار البشري الكثير من الضوء على هذه المنطلقات.

هيكل العدد وتقسيم عوالمه:

وعلى نحو غير مسبوق في العددين العاديين الأول والثاني من الحولية، فإن الهيكل العام لهذا العدد يتضمن –قبل المحاور الثلاثة المعتادة- **ملفًا خاصًا بأحداث الأشهر الثلاثة الأولى التي أعقبت الحدث**. فلقد فرضت الأزمة والطريقة التي تداعت بها الأحداث ملاحظة سمة "الكثافة" في المرحلة الأولى وسمة "الأثر الممتد" فيما بعد هذه المرحلة، الأمر الذي تبدى في

تقديم هذا الملف في جزء أول من العدد. وهو ملف يصب اهتمامه -بالأساس- على الفترة اللصيقة بما جرى يوم الحادي عشر من سبتمبر (وحتى نهاية ديسمبر) وما استدعاه مجرى أحداثها من أفكار وتفاعلات وأدوار مؤسسية؛ حيث هي مرحلة أزمة، مرحلة حرب، مرحلة مركزة، وذلك على محاور جغرافية تشتمل الأجزاء الفاعلة من العالم، سواء داخل الأمة أو خارجها: الولايات المتحدة الأمريكية:ردود الفعل ودلالاتها على المستوى الرسمي، وعلى مستوى مسلمي الولايات المتحدة، الاتحاد الأوروبي وفواعله الرئيسة: بريطانيا، ألمانيا، فرنسا. المنطقة العربية وفواعلها الرئيسة، أفغانستان والجوار: المباشر (باكستان، وآسيا الوسطى) وغير المباشر (روسيا، الصين، الهند)، إسرائيل والانتفاضة الفلسطينية.

لا شك أن ثمة خيطاً ينتظم تلك الدوائر، ينصب بالأساس على " الأمة ومستجدات الأزمة "، فضلاً عما يميز كل دائرة منها بحكم ظروفها الموضوعية الخاصة. ولهذا فإن هذا الجزء الأول ينطلق من مقولات عامة حول أثر الأزمة والحرب العسكرية على وضع الأمة في النظام الدولي وتفاعلاتها، وكيف أبرزت هذه التفاعلات الأبعاد الحضارية الكثيفة للتحديات التي أضحت تواجه الأمة منذ بداية القرن الواحد والعشرين.

ولقد جرى التخطيط والإعداد لهذا الملف وتنفيذه بالتزامن مع جريان الأحداث التي ألمت بها الدراسات التي يتضمنها الملف. ولقد تم إعداد الملف بواسطة نخبة من الباحثين الشبان طلاب الدراسات العليا في مرحلة الماجستير كمحصلة لحلقات نقاش دورية تناولت الأحداث الجارية ساعتها، حيث تلاقحت وتفاعلت خلال هذه الحلقات الرؤى والخبرات بين هذا الجيل الشاب من الباحثين وبعض من الأساتذة بقيادة المستشار طارق البشري. ولقد كان تكليف هؤلاء الباحثين الشبان تحديًا كبيرًا لإعداد دراسات هذا الملف. وكان من الضروري مواجهة التحدي كسبيل من سبل تفعيل وتشغيل طاقات شباب الأمة وبث الثقة في أنفسهم، وفي قدراتهم في هذه المرحلة الخطيرة التي تواجه الأمة.

وتكشف قراءة دراسات هذا الملف عن محاولتها الإجابة عن بعض الأسئلة الكبرى التي أثارتها حينئذ التداعيات المباشرة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر على الأمة، وهي الأسئلة التي حدد محاورها د.سيف الدين عبد الفتاح في الصفحات التي ختم بها أعمال العدد الخاص من الحولية "**الأمة في قرن**". وتتلخص هذه المجموعات من الأسئلة كالآتي:

1. كيف تقدم لنا قراءة الحدث، وقراءة الخطاب الأمريكي والأوروبي حول أسبابه، تفسيرات تقع بين نظريتين: الأولى نظرية صدام الحضارات والثقافات وهي التي تلقي مسئولية الحدث على العرب والمسلمين, ففي إطار مغريات ومسهلات للقيادة الأمريكية لاستهداف قوى خارجية، وُجدت الحجة القوية التي لا يستطيع أحد إثناء الولايات المتحدة عنها: الثأر لضربات استهدفت الرموز الدالة على الهيبة الأمريكية، بعد أن ظلت الولايات المتحدة تظن أنها بمنأى عن التهديد لأمنها القومي. ومن أهم المسهلات لخيار إسناد الحدث إلى قوى خارجية ما تمثل في عدو سابق التجهيز. إلا إن حجم الحدث في الحادي عشر من سبتمبر والمترتبات عليه من ضحايا وضرب الرموز يبين أن الضرر الأخف والذي يمكن تحويله إلى نفع على المدى القصير والمتوسط هو تبني خيار صدام الحضارات في سياق هذا العدو سابق التجهيز، وتجاه خطر إسلامي من اليسير إلصاق التهمة به. فالأرض الإعلامية قد حرثت جيدًا منذ عقود للتحذير من الخطر القادم والكامن. هذا الخيار من السهل تنفيذه ومن اليسير تصديقه، ومن المهم استثماره واستغلاله في بناء الهيبة العالمية والكونية للولايات المتحدة واسترداد الرموز والتمكين بها في التصورات والإدراكات. والنظرية الثانية نظرية إعلان بواكير انهيار الحضارة الغربية أو انتحارها، وهي التي تلقي مسئولية الحدث على قوى داخلية في المجتمع والسياسة الأمريكية، وتشير إلى خلل ضمن شبكة العلاقات السياسية والاجتماعية داخل الولايات المتحدة الأمريكية، مما أبرزته على سبيل المثال

الانتخابات الرئاسية الأخيرة والتي لاحظ فيها الأمريكيون إرهاصات اكتئاب وحيرة قد تفضي إلى "مؤشرات انتحار ديموقراطي". هذا يجعلنا نتساءل: كيف تبين لنا هذه القراءة أيضًا أن النظرية الثانية قد تم إسقاطها تمامًا لصالح الأولى، ومن ثم برزت الأبعاد الثقافية الحضارية واضحة في خطاب صراعي تمت ترجمته إلى سياسات، ويتم استخدام أدوات متنوعة لتنفيذ هذه السياسات وعلى رأسها القوة العسكرية وبصورة منفردة من جانب الولايات المتحدة أساساً تحقيقاً لأهداف ومصالح استراتيجية عليا ترتدي –وبلا مواربة بل ومن خلال إعلان سافر– رداء صراع حضاري بل وعقدي بالأساس.

2. كيف تقدم لنا قراءة الحدث وتحليل السياسات الأمريكية والأوروبية من بعده (في سياق ما سمي الحرب الدولية ضد الإرهاب بمستوياتها المختلفة الداخلية والخارجية) دلالات هامة حول ما أصاب مفاهيم المجتمع المدني، الديمقراطية، الحريات المدنية (وهي مفاهيم عزيزة على الحضارة الغربية) من قصف، وحول شبكة التحالفات الدولية التي تشكلت ودوافعها وأهدافها وأدواتها، وخاصة حالة التحالف الأمريكي الإسرائيلي الذي وصل إلى درجات غير مسبوقة من ناحية، وحالة التحالف الأمريكي الأوروبي حول أسباب الإرهاب وسبل مكافحته من ناحية أخرى.

3. كيف تقدم لنا قراءة استجابات عالم المسلمين للحدث وتداعياته عليهم (باعتبارهم العدو سابق التجهيز، وضمن تنفيذ نظرية صدام الحضارات على أرض عالم المسلمين أو اتخاذه لعالم المسلمين أرضًا له) دلالات ومؤشرات إضافية وموصولة عن عقلية الوهن؟ وكيف اختبرت الحرب على أفغانستان هذه العقلية وبينت ما آلت إليه قواعد النصرة والولاء والجهاد في مقابل قواعد الهرولة وإبراء الذمة وصكوك الغفران من الولايات المتحدة الأمريكية؟

وخلال الحرب على أفغانستان وبعد أن توقفت الحرب مع التسوية السياسية، وفي ظل استمرار الحرب الأمريكية على الإرهاب على مستويات عدة، أضحى **عالم أفكار وعالم مؤسسات وعالم أحداث الأمة** ساحة لتحديات وتهديدات تضع مستقبل الأمة في محك اختبار جديد، في ظل هيمنة أمريكية على العالم تقودها وتنفذها إدارة أمريكية يمينية متشددة، وفي ظل جدائل العلاقة بين السياسي والعسكري والاقتصادي وبين الثقافي الحضاري؛ حيث أضحى عالم ما بعد الحادي عشر من سبتمبر باتفاق الجميع، هو عالم الحرب المفتوحة ضد عالم الإسلام والمسلمين. ولذا يظل السؤال التالي مطروحًا: هل الصراع الحضاري هو الذي يصف حالة الصراع العالمي الآن، وفي قلبه الأمة الإسلامية؟ وكيف تواجه الأمة تجليات هذا الصراع وعواقبه بالنسبة للبعد الحضاري الثقافي في تفاعلات الأمة على الصعيد الداخلي والبيني ومع الآخر؟ وكيف يتم توظيف هذا الصراع لخدمة أهداف ومصالح استراتيجية أمريكية عليا في عالم الهيمنة الأمريكية؟

فخلال الشهور الثلاثة الأولى بعد الحادي عشر من سبتمبر، وحين كانت نذر الحرب تتجمع حول أفغانستان ثم مع اندلاعها فعلاً، تراكمت المؤشرات حول خريطة المواجهة الحضارية السياسية العسكرية الاقتصادية المقبلة بين الولايات المتحدة وبين عالم المسلمين. وفي الرؤية الأولية التي طرحتها د.نادية محمود مصطفى في الصفحات الأخيرة من دراستها في الجزء السادس من "الأمة في قرن" تحددت ملامح هذه الخريطة المستقبلية وثارت التساؤلات حولها على النحو التالي:

1. خصائص السياسات الأمريكية خلال خبرة تشكيل التحالف الدولي وإدارته قبيل الحرب على أفغانستان وخلالها تبرز أن الأهداف والمصالح الأمريكية لا تقتصر على نظام طالبان وتنظيم القاعدة فقط، ولكنها أبعد من ذلك؛

تتصل بأبعاد كبرى في الاستراتيجية الأمريكية العالمية بعد الحرب الباردة والتي كشفت السياسة الأمريكية بعد الحادي عشر من سبتمبر عن مخططاتها السابقة التجهيز، فلم يكن الحدث منشئًا لوضع جديد بقدر ما كان كاشفًا عنه. ولذا كان السؤال الدائر هو: من الهدف التالي بعد أفغانستان؟ وما هي أهم خصائص هذه السياسة الأمريكية؟ وما هي مراحل تنفيذها وأدواتها؟ وما هي أهم الأنماط التدخلية الجديدة التي ستفرزها هذه السياسات في العالم العربي والإسلامي؟ وكيف سيصل الاختراق الخارجي إلى أقصاه من حيث الاستخدام المباشر للقوة العسكرية بلا مبرر أو سند من "الشرعية الدولية"، ولكن انطلاقًا من مبررات وأسانيد قانون القوة الأمريكية في مرحلة الهيمنة"؛ تلك الهيمنة التي انتظرت حدثًا مثل 11 سبتمبر لتوجد المبررات للإفصاح عن مخططاتها المسبقة والمعدَّة منذ انتهاء الحرب الباردة؟ ولقد تعددت المؤشرات المتراكمة عن هذه المخططات طوال العقد الأخير من القرن العشرين سواء منها ما يتصل بتوظيف القوة العسكرية والتدخل العسكري أو توظيف الأدوات الاقتصادية والثقافية وفي تناغم شديد مع القوة العسكرية. فلقد تبين بوضوح منذ الحادي عشر من سبتمبر كيف أضحى خطاب القيادة الأمريكية خطاباً عن القوة العسكرية والحرب مجدولاً بخطاب منظومة القيم الراهنة التي ترفع شعارها الإدارة الأمريكية اليمينية المتحالفة مع اليمين الديني المتشدد وهو الأمر الذي يبرز ما أضحى عليه التداخل الشديد بين الأبعاد الثقافية– العقدية والأبعاد الاستراتيجية في السياسة الأمريكية تجاه عالم الإسلام والمسلمين. ومازال الجدال دائراً بين من يرون أن الأبعاد الثقافية– العقدية أضحت محركاً ومحدداً لهذه السياسة ومن يرون أنها ليست إلا حجة أو ذريعة تخفي الدوافع الحقيقية ألا وهي الاستراتيجية المتصلة بمصالح الهيمنة الأمريكية العالمية.

2. لم يكن الاستعراض الهائل للقوة العسكرية الأمريكية أثناء الحرب على أفغانستان وما بعدها إلا الدعامة الأساسية في الحرب الشاملة ضد الإرهاب: بقيادة أمريكية وبمشاركة أوروبية وروسية، وبمراقبة عربية وإسلامية. ولذا كان السؤال: كيف ستجري إدارة الأبعاد غير العسكرية لهذه الحرب داخل مجتمعاتنا العربية والإسلامية؟ وما دلالاتها بالنسبة للحركات الإسلامية وللمجتمع المدني الإسلامي ولنظم التعليم الدينية؟ كيف ستختبر هذه الأبعاد مصداقية النموذج الحضاري الأمريكي: أي نموذج الحريات المدنية، حقوق الإنسان والديموقراطية؟ وكيف ستختبر من ناحية أخرى قدر الممانعة والمقاومة الحضارية والثقافية في دوائرنا العربية والإسلامية؟

3. كيف تختبر ردود الفعل العربية والإسلامية تجاه الحرب الدولية ضد الإرهاب بقيادة أمريكية أمرين أساسيين من أمور العلاقات الدولية الإسلامية: الأمر الأول هو مفهوم الأمة ومعضلات إدارة العلاقة بين المصالح الوطنية الضيقة وبين مقتضيات الرابطة العقدية. والأمر الثاني هو مفهوم الجهاد وعلاقته بأشكال العنف المسلح المستخدمة في العالم الإسلامي والعربي سواء تجاه بعض النظم أو سواء للمقاومة ورد العدوان. ولذا كان لابد من التساؤل عن جانبين: من ناحية، عن درجة التضامن الإسلامي وراء القضايا المتفجرة عبر أرجاء الأمة، ومن ثم آثار غياب الإرادة الإسلامية الجماعية على فتح السبل أمام التدخلات الخارجية بكل مخاطرها وعواقبها، ومن ناحية أخرى التساؤل عن الموقف الفكري والعملي من إشكالية الخلط المقصود والمتعمد بين الإرهاب وبين الجهاد، وقبل هذا وذاك الموقف من الإدانة المتعمدة والمقصودة والسريعة للعرب والمسلمين بأنهم مرتكبو هجمات الحادي عشر من سبتمبر.

4. ما هو مآل الخطابات عن نمط العلاقات بين الحضارات (الحوار والصراع) والتي ظهرت قبل الحادي عشر من سبتمبر، بين مؤيدي الحوار في هجومهم على أطروحة هانتنجتون، وبين أصحاب الرؤية الصراعية بروافدهم

المختلفة؟ لماذا –بالرغم من استعار الحرب ضد الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر – وإذ بخطاب حوار الحضارات يكتسب دفعة قوية بقيادة جهات رسمية عربية وإسلامية؟ وما أبعاد الجدال بينه وبين الخطابات الأخرى المعارضة له؟ وما مغزى هذا الجدال بين هذه الخطابات بالنسبة لحالة العقل العربي والمسلم إبان الأزمة واتساع نطاق التدخلات العسكرية وغير العسكرية في الأوضاع العربية والإسلامية المجتمعية والثقافية؟

5. برزت مجموعة من التحديات الحضارية المتداخلة في أبعادها الداخلية والخارجية، وهي تحتاج لاجتهادات كخطوة مسبقة لأي حوار جاد. وعلى رأس هذه التحديات يمكن ذكر ما يلي: تحدي فك الاشتباك (المفروض عنوة) بين مفهوم الجهاد (بالقوة العسكرية) وبين مفهوم الإرهاب، وتحدي فك الاشتباك بين المفهومين الذائعين عن حوار الحضارات وصراع الحضارات وتوضيح الشروط اللازمة لإجراء حوار صحيٍّ والظروف التي تفرز صراعًا حضاريًا؛ لأن الاختلاف بين الحضارات لا يولد –في حد ذاته- الصراع، وتحدي تجديد مفهوم الأمة لإزالة الضباب الذي أحاط بمصداقية المفهوم في ظل تهاوي العُرى بين المسلمين ولتجديد الثقة في قدرات الأمة على الممانعة والمقاومة، والتحدي الفكري والتأصيلي لتجديد الخطابات الدينية ونظم التعليم الدينية التي تتعرض لحملات إعلامية غربية ولتدخلات خارجية باعتبارها هي الحاضنة لفكر "الإرهاب"، والتحدي الفكري والتأصيلي لتجديد أهداف وأدوات الحركات الإسلامية (السياسية منها وغير السياسية) ومشاركتها في الإصلاح الداخلي السياسي والمجتمعي؛ حيث أضحت هذه الحركات تواجه ما يمكن أن نسميه تحدي ظاهرة ابن لادن، وحيث أضحى التساؤل الجاري هو: هل سيكون ثمن مكافحة الإرهاب هو مزيد من القيود على هذه الحركات ومزيد من التضحية بحقوق الإنسان؟

6. وأخيراً يواجه مسلمو الغرب، في الولايات المتحدة وفي أوربا- تحديات خطيرة لمواقفهم من قضايا الأمة في ظل ضغوط الاندماج في الوطن الجديد والولاء له والانتماء إليه.

ففي نفس الوقت الذي أحرز فيه الوجود المسلم في الغرب مكاسب جعلته يقرب من أن يصبح جزءاً مندمجاً في مجتمعاته، وفي نفس الوقت الذي كان يمثل زخماً في مساندة قضايا الأمة وخاصة في جانب الإغاثة الإنسانية العالمية وفي جانب الدعوة الإسلامية في قلب الغرب، إذا بالهجوم على واشنطن والغرب يضع على المحك كل هذه الإنجازات بل يعرض الجماعات المسلمة في الدول الغربية لضغوط جديدة. وخاصة في ظل الإجراءات الأمنية وسياسات الهجرة الجديدة التي شرعت في تقنينها وتطبيقها الحكومات الغربية. وإذا كانت هذه الإجراءات وهذه السياسات قد لاقت معارضة من قطاعات الرأي العام الغربي نظراً لتهديدها جوهر الحريات المدنية والمبادئ الديمقراطية التي تقع في قلب النموذج الغربي والأمريكي بصفة خاصة، إلا أن تقنينها وتطبيقها قد وضع مسلمي الغرب أمام تحديات خطيرة.

ومنذ اليوم الأمريكي 2001/9/11، وما تلاه مباشرة أي اليوم الأفغاني 2001/10/7، تتوالى أيامنا ذات الدلالة. فلقد وقع اليوم الفلسطيني مع الاجتياح العسكري الإسرائيلي للضفة الغربية ولسلطة الحكم الذاتي الفلسطيني في 2002/3/28، كما وقع يوم مسلمي الولايات المتحدة 2001/3/22 مع غارة الأجهزة الأمريكية المتضافرة (المباحث الفيدرالية، المخابرات، الجمارك،...) على مؤسسات إسلامية رائدة في واشنطن وفرجينيا، وعلى رأسها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وجامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية، ومكتب رابطة العالم الإسلامي،...، كما بدأ الإعداد لليوم العراقي (بدأ العدوان على العراق في 2003/3/20 مع مثول هذا العدد للطباعة) منذ أن دشن الرئيس الأمريكي في خطابه عن حالة الاتحاد أمام الكونجرس الأمريكي في يناير 2002 – المرحلة الثانية من حربه المفتوحة على الإرهاب، وهي الحرب ضد "محور الشر". ولم تخف جسامة هذه الأيام الثلاثة الكبرى –والتي تجلى على صعيدها تحالف صهيوني أمريكي في أوضح وأعمق

درجاته- تداعيات اليوم الأمريكي متعددة الأبعاد في بقية أرجاء الأمة. وتجلت هذه التداعيات على صعيد عالم الأفكار وعالم المؤسسات وعالم الأحداث. أبرزت جميعها عمق ما وصلت إليه أزمة المسلمين، وعلى نحو أضحت معه الحاجة ماسة للبحث عن مؤشرات الممانعة والمقاومة في مقابل دعوات الانهزامية باسم العقلانية والرشادة والبراجماتية والواقعية حفاظًا على المصالح الوطنية. ويفرض هذا الوضع التساؤل التالي: كيف اختبرت أيامنا الكبرى -في ظل تداعيات اليوم الأمريكي- أبعاد أزمة العقل المسلم ومؤسساته؟ وكيف اختبرت الإشكاليات والمفاهيم الكبرى الخاصة بإدارة العلاقات الدولية للمسلمين على مختلف مستوياتها، نذكر منها مفاهيمك السيدة، التدخل، المقاومة، التحالف، التضامن، الحرب،...؟

وقبل هذا وذاك: كيف اختبرت هذه التداعيات والجدائل الراهنة بين الثقافي -العقدي وبين السياسي العسكري والاقتصادي في الاستراتيجية الأمريكية العالمية، وفي تفاعلاتها مع عالم المسلمين؟ ففي الوقت الذي يعلو فيه استخدام الولايات المتحدة للقوة العسكرية يزداد وضوح الأبعاد الثقافية-العقدية في الخطابات الأمريكية على نحو يبين ما أصبحت عليه المحركات والمبررات الثقافية العقدية من وزن. ولعل من أبرز الأدلة على هذا الوزن، تصاعد الاهتمام في الدوائر العربية والغربية على حد سواء بظاهرة الأصولية المسيحية أو المسيحية الصهيونية في الولايات المتحدة وبالتحالف بين اليمين الديني واليمين المحافظ في الإدارة الأمريكية الراهنة وآثار هذه التحالفات على السياسة الأمريكية وعلى دعم أواصر التحالف الإسرائيلي الأمريكي في هذه المرحلة على نحو لم يسبق له مثيل من قبل.

ولقد اجتهدت دراسات عوالم الأفكار والمؤسسات والأحداث في مناقشة هذه الإشكاليات والمفاهيم للإجابة عن مجموعات الأسئلة الكبرى -المطروحة عاليه- والتي تتداخل على صعيدها القضايا والمفاهيم والتفاعلات المتصلة بحالة "الأزمة العالمية" التي يعيشها العالم منذ 2001/9/11، والتي استدعت إلى قلبها الأمة الإسلامية.

محور عالم الأفكار:

نجد أنه يدور حول ثلاث نقاط: الاتجاهات الفكرية عامة وخاصة، الرأي العام، الدين الإسلامي نفسه. ومن ثم فإن الدراسات التي تتفرع حول هذه النقاط الثلاث إنما تغطي أطروحات فكرية محددة ومولّدة على ضوء الأزمة، ومن ثم مرتبطة بالضرورة بالحدث ذاته أو ذات امتدادات سابقة. ويتم تقديم هذه الأطروحات على أربعة مستويات تتميز بتنوع مصادرها وزوايا تفاعلاتها مع الأوضاع المستجدة: النخب الثقافية والفكرية، الشعوب، علماء المسلمين، الأكاديميين.

ولذا، نجد أن دراسة د.وائل ميرزا تقدم لنا رؤية شاملة عن دخول العالم دورة حضارية عالمية جديدة. في حين تقدم دراستا د.نادية محمود مصطفي ود.فريدة جاد الحق محاولتين متكاملتين لعرض أبعاد الاتجاهات والرؤى حول نمط العلاقات بين الحضارات (حوار أم صراع)؛ حيث تتخذ الأولى لنفسها ساحة أدبيات عربية فيما تتخذ الثانية لنفسها ساحة النموذج الفرنسي؛ ومن ثم فإن هاتين الدراستين تلقيان الضوء المقارن على إشكاليات الاقتراب من مفهومي الحوار والصراع بين الحضارات، وهما المفهومان الذائعا الصيت منذ ما قبل الحادي عشر من سبتمبر، واللذان اكتسبا منذ هذا الحدث صيتًا آخر.

وتستكمل دراسة د.أميمة عبود الصورة، حين تقدم قراءة في خطابات فكرية عربية وإسلامية عن أسباب الأزمة وتداعياتها. فإذا كانت أزمات سابقة خلال العقد الماضي (أزمة الخليج الثانية وحربها، البوسنة وكوسوفا، كشمير، الشيشان، الصومال، الجزائر...) قد أثارت جدالات حول نمط التدخلات الأمريكية تجاهها وأسبابها وعواقبها على الأمة الإسلامية، وحول نمط الاستجابة المثلى من جانب الدول والشعوب الإسلامية، فإن الأزمة العالمية الراهنة -منذ الحادي عشر من سبتمبر- وما تخللها من حروب حتى الآن، إنما أثارت بدورها جدالاً هامًا لبن الاتجاهات العربية والإسلامية. ومن ثم فإن رصد هذه الاتجاهات وتحليلها إنما يضيف جديد إلى عملية فهم العقل العربي و المسلم خلال عقد من أزمات المسلمين وحروبهم وهي التي

اتسمت في معظمها بالتدخلات الخارجية الخطيرة، وخاصة باستخدام القوة المسلحة. فلقد أصبح عامل التدخلات الخارجية وما وصل إليه من خطورة و تصعيد – وخاصة في ظل مناخ الصراع بين الحضارات – يثير إشكاليات عديدة فيما يتعلق بتجديد قائمة أولويات الأجندات العربية والإسلامية الفكرية منها والسياسية, وفيما يتعلق بالاستجابات المثلى المطلوبة من النظم ومن قادة الفكر والرأي. ومن ثم فإن القراءة في نصوص الخطابات الفكرية العربية والإسلامية منذ الحادي عشر من سبتمبر يقدم دلالات هامة بهذا الصدد.

وبالانتقال من الفكر نصل إلى مستوى التنظير في مجال علم السياسة. فإن خطورة الأزمة العالمية "منذ الحادي عشر من سبتمبر قد فرضت تحدياتها على التنظير, حيث تؤدي التغيرات في الأحداث والتفاعلات وفي القضايا إلى إعادة مراجعة للمفاهيم الأساسية في العلم. وتتصدى دراسة د. حسنين توفيق لهذا الأمر في جانب منه. حيث تتعدد جوانب هذه المراجعة وتتراكم على نحو يثير التساؤل عما إذا كان التنظير للعلاقات الدولية بصفة خاصة قد دخل مرحلة جديدة (وخاصة مع دلالات العدوان على العراق)، لتراكم على هذا التنظير دراسة د. محي الدين قاسم التي تقدم نظرة تقويمية للرؤية الأمريكية للعالم بعد 11 سبتمبر، وتخلُص إلى أحقية وصف الولايات المتحدة بأنها قبل غيرها الأليق بوصف "الدولة المارقة"، وذلك بناء على ما تقدمه استراتيجياتها وممارساتها من مقومات لهذه الدولة ومؤشرات على مكانتها المارقة.

ولا تقتصر أهمية هذه الدلالات على خطابات النخب الثقافية فقط أو على مستوى التنظير والمتابعة في الحقل السياسي، ولكن تمتد أيضاً إلى أطروحات من نوع آخر, ألا وهي فتاوى علماء الأمة وهو مستوى يعكس التفاعل بين الواقع و النص. حيث التصدي للإشكاليات التي يفرضها الواقع بتعقيداته على العقل المسلم وعلى حركة المسلمين. فماذا كان موقف علماء الأمة, وما درجة فعالية هذا التصدي وما هو نمط المشاكل التي تم الإفتاء حولها؟ هذا ما تحاول أن تقدمه دراسة د. سيف الدين عبد الفتاح. وتعد هذه الدراسة استكمالاً لاهتمامات سابقة من جانب د. سيف بفتاوى علماء الأمة خلال أزمات وحروب سابقة وخاصة حرب الخليج الثانية (1990-1991).

وبالانتقال أخيرًا من مستويات فكر النخب والصفوات ومن مستوى فتاوى العلماء إلى فكر القاعدة الشعبية, إن جاز لنا هذا التعبير, نصل إلى دراستين اهتمتا بالرأي العام. ولقد اهتمت د. أماني صالح بالرأي العام العالمي تجاه قضايا العرب والمسلمين, في حين اهتمت دراسة د. حامد عبد الماجد بالرأي العام العربي تجاه السياسة الخارجية الأمريكية. ولقد كان لكل الدراستين منهجها الإجرائي للاقتراب من هذين المجالين المتسعين، ولكنهما تقدمان فرصة للمقارنة والمقاربة من زاويتين مختلفتين.

وإذا كانت دراسات محور عالم الأفكار قد تعاملت بطريقة مباشرة مع إشكالية العلاقة بين الأبعاد الثقافية الحضارية وبين الأبعاد الاستراتيجية من زوايا ومداخل متنوعة مبينة طبيعة ودرجة الجدال حول هذه العلاقة سواء من منظور فكري أو نظري أو منظور الفتاوى أو الرأي العام فإن دراسات المحورين التاليين: المؤسسات والأحداث تنتقل بنا إلى ساحة الاختبارات الحية التي تقدم الأدلة والشواهد من واقع السياسات الأمريكية المتراكمة في مجالات متنوعة من ناحية, ومن واقع الاستجابات و ردود فعل مختلف أرجاء الأمة من ناحية أخرى.

ومن واقع القراءة الفاحصة لهذا التراكم المتنوع وباستدعاء نتائج القراءة في دراسات ملف العدد يمكن للقارئ أن يكوِّن رؤيته عما إذا كان الحادي عشر من سبتمبر كاشفاً أو منشئًا لما تلاه من سياسات أمريكية, وعن أسباب إلصاق التهمة بالعرب وبالمسلمين وعن حقيقة الدوافع والمحركات وراء السياسات الأمريكية الشاملة والمتشعبة والممتدة التي تدير من خلالها إدارة

بوش الحرب على الإرهاب, وعن اتجاهات الهيمنة الأمريكية على العالم باستخدام الحرب أساساً وبمساعدة من الأدوات الأخرى, وعن حقيقة أن عالم الإسلام والمسلمين هو "العدو" في نظر السياسة الأمريكية.

محور عالم المؤسسات:

تتعامل دراسات هذا المحور مع مجالات للاختراق الخارجي من ناحية, ومجالات لإدارة العمل الجماعي العربي و المسلم على المستويات الإقليمية, والعالمية في ظل قيود عالم الهيمنة الأمريكية من ناحية أخرى فنجد أن المدارس, والخطابات الدينية, والحركات الإسلامية, ومؤسسات العمل الخيري الإسلامي, والمرأة المسلمة تمثل جميعها مداخل للتدخل الخارجي لإعادة بناء الأمة في ظل تحديات الضغوط الخارجية المتزايدة على الأمة , ولقد قدمت الدراسات التي تناولت هذه الموضوعات رصداً وتحليلاً لتجليات هذه الضغوط ودلالتها بالنسبة لاتجاهات التغيير الداخلي في الدول الإسلامية والمفروض من الخارج؛ حيث إن مفردات الخطاب الغربي (والأمريكي بصفة خاصة) قد حددت أن جذور ما يسمى "الإرهاب" إنما تكمن في الخطابات الدينية والتعليم الديني, وفي شبكة الموارد المالية الممتدة تحت غطاء السياسات تجاه الحركات الإسلامية, ومن ثم فإن مفردات هذا الخطاب وما اتصل به من سياسات قد بينت أن أحد أهم مسارات علاج "الإرهاب" من وجهة النظر الأمريكية هو التصدي لهذه الجذور وتغييرها تحت عنوان "تجديد الإسلام وتحديثه", ليصبح أكثر اعتدالاً وتسامحاً, وتجفيف المنابع, التحول الديموقراطي الذي يستبعد التيارات الإسلامية المعتدلة منها والراديكالية, اتخاذ المرأة كمدخل أساسي للتغيير الجذري في المجتمعات على ضوء متطلبات العولمة.

ويجدر الإشارة هنا أن الموضوعات الأربع المشار إليها عالياً, إنما تم الاقتراب منها من خلال استدعاء حالات مقارنة من واقع أوضاع بعض الدول الإسلامية؛ حيث إن هذه الموضوعات تثور بدرجة أو بأخرى في جميع الدول الإسلامية الآن.

ومن ناحية أخرى فإن مؤسسات الأمة الرسمية: القومية منها (الجامعة العربية) والأممية (منظمة المؤتمر الإسلامي) قد أدارت تداعيات الأزمة على نحو دفع للتساؤل إلى أين تتجه هذه المنظمات مع تزايد القيود الخارجية والبينية على فعالية دورها؟ وهو السؤال الذي ثار نظيره بالنسبة لما كشف عنه أداء الأمم المتحدة أيضاً, فإن عواقب الاستراتيجية الأمريكية العالمية لم تتبد على ساحة العالم الإسلامي ومؤسساته فقط ولكن ظهرت قوية واضحة على ساحة المنظمة العالمية أيضًا.

محور عالم الأحداث والقضايا

في تقسيم عالم الأحداث والقضايا اتخذ العدد **الأول** للحولية الأساس الجغرافي معياراً لتقسيم موضوعاته: (إسرائيل من الداخل، العرب في الأمة، دول الأركان، آسيا: المجال الحيوي، أفريقيا: القارة المنسية، البلقان: الذاكرة المخذولة)، بينما اتخذ العدد **الثاني** للحولية منحىً موضوعياً للتقسيم (العلاقات والتفاعلات، والقضايا والصراعات المتفجرة)، أما العدد الخاص من الحولية **"الأمة في قرن"** و فيما يتصل بعالم الأحداث و القضايا أيضاً, فلقد توزع هذا العالم بين الكتابين **(الثالث والخامس)**، فنجد أن الكتاب الثالث (**الإسلام في عالم المسلمين**) اتخذ منحىً جغرافياً موضوعياً لعرض النماذج والحالات المختلفة في أقاليم الأمة (أفريقيا، آسيا، دول الأركان، المشرق العربي، القدس) في حين اتخذ الكتاب الخامس (**الأقوام والأعراق والملل في عالم متداخل**) خبرة الأقليات المسلمة محورًا له: (نحو فقه جديد للأقليات، مشكلات التعددية الدينية والإثنية في جنوب السودان ونيجيريا، ومشكلات البربر في المغرب العربي، والأكراد: القومية المجزأة، والخلاف السني – الشيعي ومحاولات التقريب بين المذاهب، والمسلمون في شمال القوقاز، وفي البلقان، وفي الهند، وفي ألمانيا) عبر محطات القرن الميلادي العشرين.

بعبارة أخرى إذا كانت موضوعات عالم الأفكار والمؤسسات تسمح باستدعاء حالات مقارنة من واقع أرجاء الأمة المختلفة، فإن محور عالم الأحداث والقضايا يقتضي التوقف عند كل إقليم من أقاليم دول هذه الأمة وعند المسلمين في الدول الأخرى، للنظر في أوضاعها عبر العام، في محاولة لبيان خصوصية كل إقليم وعلى نحو يسمح باستخلاص إطار مقارن بين قضايا وتفاعلات هذه الأقاليم.

وبقدر ما آثار اليوم الأمريكي من تداعيات فكرية ومؤسسية/ انصبت بدرجة أو بأخرى على الأمة برمتها، بقدر ما انعكست أيضاً تداعيات هذا اليوم على التفاعلات الداخلية في الدول الإسلامية والتفاعلات البينية الإسلامية والتفاعلات الإقليمية بصفة عامة.

وتبين دراسة هذه التفاعلات ما أضحى عليه وزن الاختراق والتدخل الأمريكي من خطورة، على نحو يوضح حقيقة الأهداف والدوافع الاستراتيجية الأمريكية تجاه عالم الإسلام والمسلمين، وهي الأهداف والدوافع المتصلة بتأكيد وضع الهيمنة الأمريكية العالمية، والتي تتغلف باستراتيجية الحرب على الإرهاب.

ولقد أضحت هذه الحرب الأمريكية على الإرهاب هي الحرب العالمية الرابعة الكبرى والتي تخوضها الولايات المتحدة بأساليب ووسائل عصر العولمة وأضحت ساحتها الأساسية ساحة عالم المسلمين(دولاً وشعوباً).

فبعد أن تدخلت الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى بأساليب القوى التقليدية, ثم ختمت تدخلها في الحرب العالمية الثانية بالإعلان عن السلاح النووي, وبعد أن أدارت الحرب العالمية الثالثة(الحرب الباردة) في مواجهة العدو الشيوعي بأساليب تراوحت ما بين الانقلابات العسكرية, والتدخلات العسكرية المباشرة وأدوات المعونات والعقوبات وأدوات الحرب الثقافية, و حتى تحقق لها الهدف الاستراتيجي وهو احتواء وتصفية النموذج المضاد, فها هي قد دشنت الحرب العالمية الرابعة ضد "الإرهاب". ذلك العدو الجديد وان بدا غير محدد الهوية والمكان, إلا أنه يتطابق في نظر الإدارة الأمريكية, وكما يتبين من سياستها وسلوكها مع ما تسميه الأصولية والتطرف الإسلامي.

و لقد دشنت هذه الحرب تحت أجندة معلنة تتضمن: فرض التحول الديمقراطي, وحماية حقوق الإنسان, ونزع أسلحة الدمار الشامل ولو بالقوة العسكرية, في حين تبدو نواتج السياسات الأمريكية المتبعة مناقضة لهذه الدعاوى المعلنة.

كما تبين لنا دراسات هذا المحور أنماط الاستجابات المتنوعة من جانب الدول الإسلامية والجماعات المسلمة في الدول الأخرى؛ ولهذا، فإن تقسيم هذا المحور يبدأ بدراسة شاملة عن الاستراتيجية الأمريكية العالمية واستمرار الحرب على الإرهاب. وتعد هذه الدراسة المحطة الأخيرة في الحولية المتصلة مباشرة بالولايات المتحدة؛ حيث تضمنت بعض دراسات ملف العدد ومحوريه الأولين (الأفكار والمؤسسات) ما يتصل بالرؤية الأمريكية لعالم ما بعد سبتمبر وسياستها من زوايا ومداخل متنوعة. وقد يبدو الأمر للقارئ من قبيل التكرار، إلا أن هذا الظهور المتكرر للولايات المتحدة في أرجاء الحولية، إنما هو انعكاس لكون الحولية تدور —في هذا العدد- حول "الأزمة العالمية"، فضلاً عن أن القراءة المقارنة تبين أن هذا التعامل المتكرر مع سياسة الولايات المتحدة (رؤية وسلوكًا وخطابات) إنما يتم من زوايا ومداخل متنوعة الأهداف، تتحدد وفق موضع كل تناول من هيكل هذا العدد من الحولية وتقسيماته.

وتوالت دراسات هذا المحور ابتداء من الانتفاضة الفلسطينية ومسار الصراع العربي الإسرائيلي، باعتبار القضية الفلسطينية بمثابة القلب من قضايا "العرب في الأمة". فإذا كانت قضايا وأحداث أخرى قد انعكست عليها بقوة تداعيات اليوم الأمريكي، فإنه قد تم تناولها بصورة أو بأخرى في مواضع متفرقة, وإذا كانت قضية العراق أضحت اليوم القضية محك اختبار الاستراتيجية الأمريكية برمتها تجاه المنطقة (ولقد تم تناولها في نطاق دراسة الاستراتيجية الأمريكية العالمية) إلا إنه ستظل القضية

الفلسطينية ومسار الصراع العربي الإسرائيلي ساحة تبين جسامة وفداحة تداعيات اليوم الأمريكي على الأمة الإسلامية في ظل تحالف صهيوني أمريكي سافر وبلا مواربة. وإذا كانت إحدى دراسات ملف العدد عن إسرائيل قد ألقت الضوء بوضوح على مدى توظيف إسرائيل لليوم الأمريكي ولدعوة الحرب على الإرهاب، لتبرز التطابق بين رؤيتها وأهدافها وبين نظائرها الأمريكية، وكان الثمن هو استمرار العمل الصهيوني على تصفية القضية الفلسطينية، فإن دراسة الباحث الفلسطيني بشير أبو القرايا ترصد أبعادًا أخرى لحالة القضية منذ "اليوم الفلسطيني" (2002/3/28)، وتداعياته الممتدة بلا هوادة.

ومع "دراسة أفغانستان ما بعد طالبان: إعادة إعمار ماذا؟" تبدأ رحلة الحولية في آسيا المجال الحيوي للإسلام. فلقد كان اليوم الأفغاني (2001/10/7) هو نقطة البداية في تنفيذ الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في آسيا وفي العالم، وهي الاستراتيجية الأمريكية التي كشفت عنها أحداث 9/11 وأعطتها الفرصة للتطبيق. وإذا كان ملف العدد قد ألقى الضوء على مواقف مختلف الأطراف العالمية والإقليمية من الإعداد للحرب على أفغانستان ومن الحرب ذاتها وحتى إقرار التسوية السلمية وبداية عمل الحكومة الانتقالية، فلقد ظلت قضية إعمار أفغانستان وإعادة بنائها –وفقًا للمصطلح الأمريكي الذائع (والذي يتكرر الآن بشأن عراق ما بعد العدوان، والعراق في ظل الاحتلال)- تثير التساؤلات. ولذا فإن دراسة الباحث الأفغاني مطيع الله تائب تقدم رؤية من الداخل لمسار عام بعد الحرب على أفغانستان.

ولقد اقترن المشهد الأفغاني قبل الحرب وخلالها بجواره الإقليمي المترامي الذي يمتد من غرب الصين إلى بحر قزوين. وتقدم الحولية دراستين عن آسيا الوسطى: إحداهما وهي دراسة أ.مصطفى دسوقي تقدم رصدًا لثروات آسيا الوسطى-قزوين من البترول والغاز، مساهمة بذلك في تدعيم فهم واحد من أهم دوافع الاستراتيجية الأمريكية تجاه آسيا الوسطى، ألا وهو ثروات هذه المنطقة, وهو الدافع الذي لم تستطع أن تخفيه كل دعاوى وحجج الولايات المتحدة لمحاربة إرهاب طالبان وتنظيم القاعدة. ويتكرر السيناريو مرة أخرى منذ بدأ الإعداد لليوم العراقي. فإن بترول العراق وخريطة المنطقة العربية برمتها، وفي ظل تواطؤ أمريكي صهيوني واضح الدلالة، هو الهدف الحقيقي وراء المعركة الدبلوماسية والإعلامية –ثم العدوان العسكري لاحقًا- التي خاضتها الولايات المتحدة ضد العراق تحت راية نزع أسلحة الدمار الشامل، وإسقاط نظام صدام حسين المستبد والدموي، بل وأحيانًا المتواطئ مع القاعدة وطالبان.

والدراسة الثانية هي دراسة أ.عاطف سعداوي التي تستدعي منظور توازن القوى الإقليمي الجديد في ظل التدخل العسكري الأمريكي في أفغانستان وتداعياته على القضية الشيشانية بصفة خاصة. فإذا كانت هذه القضية قد قفزت واحتلت ساحة الاهتمام طوال العامين الأخيرين من القرن العشرين فإن غبار اليوم الأمريكي ثم اليوم الأفغاني –وحتى الآن- قد حجب هذه القضية عن الاهتمام العالمي. ومن ثم لم يكن انتهاك حقوق الإنسان بل حقوق شعب كامل (فيما يسميه البعض حرب إبادة) والذي تمارسه إسرائيل في عدوانها على الشعب الفلسطيني هو الانتهاك الوحيد الذي تعاني منه الأمة والشعوب المسلمة، فهناك أيضًا الانتهاكات الروسية ضد الشعب الشيشاني، وكذلك الانتهاكات الهندية تجاه الشعب الكشميري، والانتهاكات الفليبينية تجاه المسلمين في الفيليبين، والانتهاكات الصينية تجاه مسلمي تركستان الشرقية (التي تسميها الصين سيكيانج) وجميعها انتهاكات تمت وتصاعدت في ظل تداعيات اليوم الأمريكي واليوم الأفغاني وتحت حجة مكافحة الإرهاب وفي ظل تنسيق متنامٍ مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي هذا يذكر أن إدارة تحرير الحولية كانت قد حرصت على الاستكتاب في موضوعين عن مسلمي كشمير، والفليبين وتركستان الشرقية، غير أن الباحثين المستكتبين اعتذرا عن عدم تقديم التقرير المطلوب في توقيت متأخر لم يسمح بإجراء استكتاب جديد، الأمر الذي نود استدراكه في العدد القادم إن شاء الله –تعالى.

ولا يمكن أن يكتمل المشهد الآسيوي بدون الاقتراب من ركنين أساسيين من دول الأركان في الأمة: وهما تركيا وإيران، هذان النموذجان المتقابلان في طبيعة النظام وطبيعة التوجه الخارجي. ولقد سبق لملف العدد أن رصد ملامح ردود فعل

الدولتين الأولية تجاه اليوم الأمريكي، وتقدم لنا دراسة د.باكينام الشرقاوي رصدًا مقارنًا لمسار الخطاب والسلوك المرتبط بالدولتين حول "الأزمة العالمية" بروافدها المختلفة.

ثم تنتقل الحولية إلى أفريقيا "قارة الإسلام المنسية"، وتجتهد دراسة د.محمد عاشور لجمع الخيوط المتناثرة لتداعيات اليوم الأمريكي والحرب على الإرهاب على ساحة القضايا الأفريقية وخاصة ساحة التحول الديموقراطي والصراعات المتفجرة.

واستمرارًا للاهتمام بالجماعات المسلمة في أوروبا والولايات المتحدة فإن محور الأحداث والقضايا –واستكمالاً لما تم تسجيله في ملف العدد– يقدم دراستين عن مسار وأوضاع هذه الجماعات وما تواجهه من تحديات متصاعدة لحقوقها وحرياتها المدنية من ناحية، ولهويتها وآفاق اندماجها الفاعل في المجتمعات الغربية من ناحية أخرى. فلقد كانت تحديات الحادي عشر من سبتمبر 2001 مِفصلاً فارقًا بالنسبة لهذه الأمور جميعها.

وأخيرًا –وبعد أن حظي مسلمو البلقان خلال النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي باهتمام العالم خلال الحروب الأهلية والإقليمية التي صاحبت تفكك الاتحاد اليوغسلافي، وبعد أن اكتملت عملية إعادة تشكيل البلقان بعد نهاية هذه الحروب، وفي حين دخلت أقاليم أخرى –مثل المنطقة العربية– مرحلة استكمال عمليات إعادة تشكيلها (التي سبق وبدأت 1990-1991) في ظل تداعيات اليوم الأمريكي، وفي حين دشنت الحرب على أفغانستان عملية إعادة تشكيل التوازن في آسيا، بدا أن مسلمي البلقان بعيدون وبمنأى عن تداعيات "الأزمة العالمية". وتقدم دراسة د.محمد الأرناؤوط رؤيتها عن تداعيات الحادي عشر من سبتمبر على هؤلاء المسلمين في البلقان.

وانطلاقًا من أن الأزمة العالمية التي دشنها اليوم الأمريكي وتوالت تعبيراتها في أرجاء الأمة الإسلامية والعالم ليست أزمة ذات تداعيات فكرية وحسب، أو سياسية أو عسكرية فقط (وإن كانت هذه هي أبعادها الكثيفة الثقيلة المتصدرة للوعي العالمي)، فإن البعد الاقتصادي للأزمة يبقى عنصرًا أساسياً سيما فيما يجلوه من دوافع ومبررات السياسة الأمريكية عقب يومها هذا. ومن هنا تأتي أهمية دراسة أ.مغاوري شلبي عن التداعيات الاقتصادية وعولمة ما بعد الحادي عشر من سبتمبر.

إن التراكم في موضوعات هذا العدد من الحولية ابتداءً من افتتاحيته وحتى آخر دراسة، تقودنا بالتدريج للتساؤل: ما العمل أمام هذه الأزمة العالمية الطاحنة التي تقودها الولايات المتحدة بغطرسة القوة والتي ينوء عالم الإسلام والمسلمين بعواقبها ومخاطرها، في وقت بلغ الوهن الداخلي أقصاه؟ وما أن وصلنا إلى ملامح عملية للإجابة حتى وقع العدوان الأمريكي على العراق –بعد ترقب دام ستة أشهر– **وذلك مع مثول هذا العدد للطباعة**. وهو العدوان الذي تأكد قبله ومعه ما تبلور من دلالات عن نتائج وتداعيات العام المنصرم منذ اليوم الأمريكي وهي أن أزمة العقل المسلم قد استحكمت وأضحى ضروريًا الخروج منها باجتهادات جديدة لمواجهة متطلبات الحركة في هذه المرحلة، ومن أول الاجتهادات المطلوبة: كيف يتحقق تغيير داخلي فعلي وشامل يستطيع أن يواجه مخاطر وتهديدات التدخلات الأمريكية المباشرة التي وصلت إلى درجة الاحتلال العسكري والتي تتحالف مع الصهيونية في صورة سافرة غير مسبوقة؟.

والحمد لله

القاهرة صفر 1424– أبريل 2003.